



شاخت كلّ النجوم المتلائمة ولم يعد هناك سوى نجمة داود في سماء الشرق الأوسط.

نظيرية موت النجوم تأخذ مسارها اليوم أكثر من أيّ يوم مضى وتنذر بانفجار الكوكب الذي نعيش عليه وغرقه المحتم في بئر العدم.

إنْ لم يكن العالم قد شارف على نهايته المشؤومة فكيف نفسر إذاً تصريحات الأمم المتحدة الأخيرة و إدانتها للجيش السوري الحرّ وصف دفاعه عن الأرض و العرض بجرائم الحرب؟

هل وصل العهر السياسي لدول العالم إلى حدّ إدانة الضحية و منح الجlad وسام استحقاق؟

من كان له رأس فلابدّ أن يكون له عقل و من كان له عقل فلابدّ أن يفكر و يحلّ و يستنتاج فإذا فسدت استنتاجاته دلّ ذلك على فساد عقله و ربّما انعدامه.

سورية الغارقة في بحر الدماء منذ قرابة العامين تئن بصوت وصل إلى كلّ كواكب الكون لكنه لم يصل إلى ضمير رجل واحد، و كأنّ العالم أجمع على إعدام الشعب السوري إعداماً ميدانياً عسكرياً دون محاكمة و دون جلسات استماع. شعب يشيع ضحاياه كلّ يوم بالمئات، مجازر مؤثقة يرتكبها جنود النظام الأسدية كلّ يوم بحق شعب كلّ ذنبه أنه نادى بالعدل و تغنى بالحرية فلقي أعنف ردّ بالقتل و الذبح و التكيل و الاعتقال و التشريد و الدمار، لم يشهد التاريخ حرب إبادة جماعية يقودها رئيس ضدّ شعبه كما شهدت سوريا، و الغريب أنّ العالم صامت مؤيد.

ليس ثمة مؤشر على أيّ مسعى دولي حقيقي لوقف التدهور في المنطقة.

على العكس من ذلك، يبدو مجلس الأمن وكأنه يتواطأ، بطريقة أو بأخرى، مع الحالة، حتى وإنّ حذر ديفيد ميتشوم من أنْ

نكون «ورثة الأشلاء»، ليسأل ما إذا كان من مصلحة الولايات المتحدة و الاتحاد الروسي أن يتحول الشرق الأوسط إلى غابة من الجماجم...لا أحد يكترث، ولعبة الدم تأخذ مجريها و تنسع زماناً و مكاناً، ويجربنا الدم إلى الدم في حرب، البعض يراها بين الديكتاتورية و الديمقراطية و البعض يراها بين صناديق الاقتراع و صناديق الموتى. يتيمة هذه الثورة، هكذا قالوا عنها، حتى من نصيب نفسه حامياً و ممثلاً لها و سمي نفسه مجلساً وطنياً لم يكن بمستوى الآمال المعقودة عليه و أثبتت فشله يوماً بعد يوم في قيادة الثورة و تمثيلها و لعل الأسباب كثيرة، منها اختراق المجلس إيرانياً -أسدياً و كثرة الخونة في صفوفه، و كثرة المتسلين و أصحاب المصالح و الغايات و كثرة السذج العاجزين عن فقه أبجديات السياسة و أسس العمل الثوري رغم ولائهم وإخلاصهم وقد أدى تدني مستوىفائدة التي قدمها المجلس الوطني للثورة إلى فقدان قاعدته الجماهيرية مما حدا بهيلاري كلنتون إلى نعيه، وهذا بحد ذاته طعنة وطنية في عمق الثورة، جعل الحرب الدائرة في سوريا تأخذ منحي الصراع بين الديكتاتورية والديكتاتورية حتى وجد الثوار أنفسهم يحاربون على جبهتين.

وقد يذكر التاريخ أنَّ الثورة السورية هي الثورة الوحيدة التي أسقطت نظاماً ممانعاً وعارضته بآن واحداً!

يفرق المشهد السوري بالضبابية، و تكثر الأوراق على طاولة اللعب، ثمة مجلس جديد يحبو ليعلن عن نفسه قريباً رِيماً، و ثمة حكومة انتقالية تناولها المحللون بالترحيب تارة و بالانتقاد طوراً، من أيدّها يرى فيها الخلاص من الفوضى العارمة و جسراً يعبر عليه نحو بر الأمان المفقود، و حقناً للدماء النازفة، و من أدانها يرى فيها توافقاً مع النظام البائد و محاولة لقمع الثورة و إجهاضها و جرّ الثوار إلى طاولة المفاوضات و الحوار مع المجرم الذي يطلبون رأسه، و رغم رفض الرافضين لها ليس ثمة بديل آخر مطروح على الساحة، و كأنّما عجزت الأرحام السورية عن إنجاب قائد بديل يدير دفة المركب نحو شاطئ السلام، وما يزال الشعب غارقاً في سواد الليل البهيم يبحث عن قبس يهتدى بنوره، و يلقى نقله و أحماله عليه.

ضباب ودم يلف كامل المنطقة، دون أن تكون هناك المرجعية أو حتى الآلية التي تضبط الأوضاع. لا دولة قوية حاكمة بل سلطة هنا وسلطة هناك، طائفة هنا وطائفة هناك، عصابة هنا وعصابة هناك، ولا ثقافة سوى ثقافة (أرى رؤوساً أينعت وحان قطافها)، و تريد الأمم المتحدة من الشعب والجيش الحرّ بعد كلّ تلك المعاناة والألم والقتل والذبح أن يقبل يد الجاني ويعتذر إليه أنه نىجه؟؟؟؟؟

أي شر يعة تلك؟

وَأَيّْ قَوَاعِدْ؟

وَأَيّْ قَوَاعِدْ؟

لم يعد ثمة مجال لإغفال الهوة التي تتسع يوماً بعد يوم بين المسلمين السنة والعلويين في سوريا و لا يمكن لكتابات المزركشة، ولا للوعود الهشة أن تحجب حرباً أهلياً على وشك الاندلع، ثمة احتقان طائفي حين نقرع ناقوس الخطر لكشفه لا يعني أننا نزكيه أو نؤججه أو حتى نؤيده، لكن يعني أنّ علينا توحّي الحذر و فعل ما يلزم لإيقاف بركان الثأر القادم، و حين تندد الأمم المتحدة بالضحية و تنصف الجلاد فهي بعلم أو غير علم تزيد الاحتقان والتوتر و تزكي نار الفتنة و تحدو بسورية نحو مزيد من الضباب... مزيد من الدماء...

يا عقلا العالم هل من رشيد بينكم